الباب الرابع

حول أساسيات حرب اللاعنف

obeikandl.com

obeikandl.com

تعرفنا في الباب الأول على جانب من تاريخ حرب اللاعنف، واستعرضنا في الباب الثاني مفهوم حرب اللاعنف ومكانها من أنواع الصراع ونظرتها إلى طبيعة القوة السياسية، وتعرفنا على دوافع أطراف الصراع المختلفة وطبيعة أسلحة حرب اللاعنف.

وفي هذا الباب الثالث والأخير سنستعرض مجموعة من الأسس والركائز الأساسية التي تقوم عليها حرب اللاعنف، والتي لابد من الإحاطة بها، كما سنستعرض مجموعة من المفاهيم الخاطئة الشائعة لتصويب النظر وترشيد الفعل وتوعية قوى التغيير بمدى إمكان استخدام حرب اللاعنف.

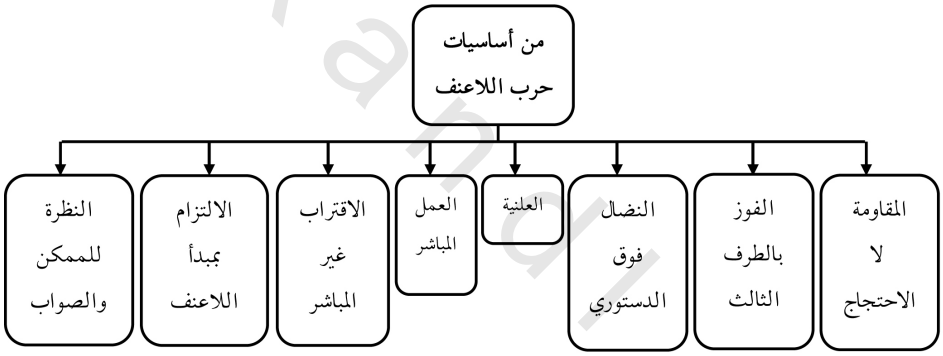

شكل ٢٨: من أساسيات حرب اللاعنف

الأساس الأول: حرب اللاعنف.. مقاومة لا احتجاج

لما كانت حرب اللاعنف تمثل التجسيد الحقيقي للفعل السياسي في ظل نظرية القوة متعددة المصادر، فإن هذا يعني أنها تقوم على العصيان والتمرد لا على الطاعة والإذعان، هذا العصيان الذي لا يكتفي بالاحتجاج ولكن بالمقاومة.

وتستلزم الدراسة المتأنية لقضايا الصراع التمييز بين مصطلحي المقاومة والاحتجاج، حيث يشيع الخلط بين الكلمتين في كثير من الأحيان. ولتوضيح

الفارق بين المصطلحين نعرض القصة التي ذكرها بير هيرنجرين في كتابه «طريق المقاومة» حيث كتب: («ارتبط درسي الأول الذي تعلمته عن العصيان المدني بولادة أخي، حيث كنت مفتونًا بإصراره البريء على تنفيذ ما يشاء وبالطريقة التي يشاء، وعندما لا يرغب في عمل شئ فإنه ببساطة يرفض ولا يساوم على هذا الرفض، وهو ما كان مغايرًا تمامًا لما كنت عليه، حيث إنني كنت ابنًا مطيعًا جدًا. ولا أقصد بهذا أنني لم أكن أعترض، فلقد كنت أصيح بشكل عنيف وأصرخ وأجادل، ولكن عندما ينتهي هذا الاحتجاج والصراخ فإنني أنصاع للأمر في نهاية المطاف. وقد ساعدني هذا التباين بيني وبين أخي كثيرًا في فهم الفارق بين مفهوم المقاومة Resistance والاحتجاج Protest. «إن الاحتجاج قد يكون مجرد تعبير عن موقف إزاء قانون ما، أو موقف ما، ثم العودة والإذعان. أما المقاومة فتسعى إلى إلغاء القرار، أو تحدي القانون. إنها ترفض الإذعان أو الطاعة. إن المقاومة في جوهرها هي العصيان.»)[١]

وتتسم كلمة المقاومة اليوم بالنمطية، وذلك لأن كل أشكال الاحتجاج – وللأسف – أصبحت فجأة تسمى مقاومة.

ومن هنا تفقد حركة التغيير فعاليتها، وتتحول من حركة تغيير مقاومة إلى حركة احتجاج معارضة، والطامة الكبرى أن هذا التحول لا يحدث عن استراتيجية مقصودة؛ بل وربما لا يشعر قادة الحركة وأفرادها بهذا التحول، وإنما هو تحول لا إرادي نتيجة استخدام أساليب واستراتيجيات الاحتجاج على كونها أساليب واستراتيجيات المقاومة وحرب اللاعنف.

لذلك كانت الحاجة ماسة للتمييز بين المقاومة والاحتجاج، ليتمكن النشطاء من تحديد الدرجة التي يقفون عليها من الصراع، ويحسنون اختيار الوسائل الأنسب

(١) أحمد عبد الحكيم، د. هشام مرسي، م/ وائل عادل، حلقات العصيان المدني، الدار العربية للعلوم ناشرون، أكاديمية التغيير، بيروت، ٢٠٠٦، ط١، ص ١٣، ١٤

لتحقيق أهدافهم. فقد يكتفون أحيانًا بالاحتجاج ولا يعتزمون خوض تصعيد أكبر، وفي أحيان أخرى يشنون حملات المقاومة التصعيدية عن وعي وإدراك.، كما يُمَكِّن ذلك الدارسين من الاتفاق على معيار للحكم على طبيعة المقاومة وتطور أدائها خلال المراحل المختلفة للصراع.

مسطرة المقاومة والاحتجاج

ومن هنا تأتي أهمية وجود المعايير العلمية لتصنيف الأنشطة، باعتبارها مقاومة أو احتجاجًا، أو أن المجتمع لم يبرح خانة اليأس والاستسلام بعد. ولا يمكن لهذا التصنيف أن يكون حديًا – أسود أو أبيض؛ بل هناك دائمًا طيف من ألوان الفعل يتجاوز مصطلحي الـ«**المقاومة**» و«**الاحتجاج**».

لذلك يمكن تخيل مسطرة الفعل، تشير درجة صفر(٠) فيها إلى الاستسلام التام، وتشير الدرجة عشرة (١٠) إلى «المقاومة»، ويمثل تدرج المسطرة طيفًا يحوي في طياته الاحتجاج، والذي يقترب من الاستسلام أو المقاومة بحسب قرار المجتمع وأدائه.

فقد يلجأ شخص في المجتمع إلى الإنكار القلبي، أو التعاطف مع المقاومة، لكنه لا يترجم هذه العاطفة إلى فعل احتجاجي، حينها تكون أفعاله التي يمارسها بشكل يومي في حياته الطبيعية أقرب إلى الاستسلام، إذ الطاعة في حد ذاتها والمساهمة في تسيير الحياة بالشكل الطبيعي المعتاد يعتبر سلوكًا داعمًا للنظام.

وللتعرف على مدى كون النشاط يندرج تحت الاحتجاج أو المقاومة فقد وضعنا هذه المنظومة السداسية التي تستخدم لتقييم مدى سخونة النشاط واقترابه من تصنيف المقاومة، أو برودته فلايغادر مستوى الاحتجاج.

المنظومة السداسية لتقييم مستوى المقاومة

تحتوي هذه المنظومة على ست نقاط أساسية للحكم على النشاط من حيث كونه مقاومة أو احتجاجًا:

١- **النتيجة المتوقعة من الفعل**: هل سيؤدي النشاط إن تم بنجاح إلى تغيير الأوضاع أم أنه مجرد صرخة وعمل رمزي؟

وهل هدف الفعل الابتدائي الذي اختير النشاط من أجله تسجيل حضور أم تغيير وضع؟

٢- **الإرادة والوعي**: هل النشاط نابع عن وعي بخارطة الصراع، وأطرافها، ومراحلها، أم أنه عفوي وليد الحظة؟

٣- **الاستمرار**: هل النشاط الحالي حلقة ضمن حلقات حملة المقاومة، فيُنظر إليه كسلوك مستمر متصاعد في مسار واضح ينتهي إلى تحقيق هدف المرحلة الحالية من الصراع؟ أم أنه سلوك عرضي، مآله الإذعان لسلطة النظام وضغطه في نهاية المطاف؟

غير أن الاستمرار في النشاط بحد ذاته لا يعبر عن فعل مقاوم، فالمسيرات والإضرابات المنتظمة تظل أعمالًا معزولة لا تكتسب معنى العمل التغييري المقاوم حتى تدرج ضمن رؤية استراتيجية واضحة. فهي أشبه بأعمال الخير والإحسان ولكن في ثوب جديد. فإعطاء بعض الفقراء صدقات بشكل مستمر لا يعني حل الأزمة الاقتصادية.

٤- **الرؤية الاستراتيجية**: والتي تجيب على سؤال: وماذا بعد؟؟ فالفعل المقاوم يُشيَّد على رؤية استراتيجية تحدد مراحله وبدائله. فإن لم يفلح النشاط (س)، سيُستعمل النشاط (ص)، وهكذا عبر سلم من التصعيد يتحقق الهدف الاستراتيجي المرحلي أو النهائي، كما تتحكم الرؤية الإستراتيجية للصراع فى تحديد إمكانية المزج بين الاحتجاج والمقاومة بما يخدم المرحلة. فالنشاط الاحتجاجي التقليدي قد يصنف كنشاط مقاوم إن أُدرج في خطة تبدأ بالاحتجاج ثم التصعيد المتوالي، حينها تعتبر الخطة الكلية خطة مقاومة لا احتجاج، رغم أنها استخدمت أساليب الاحتجاج.

٥- **فعل أو رد فعل**: من الطبيعي أن تبدأ المقاومة كرد فعل على قضية كبرى كالاحتلال مثلًا، لكن هل استراتيجياتها المتبعة استباقية أم دفاعية؟ هل يُستدرج المجتمع إلى ردود أفعال أم أنه صانع الأفعال؟ ما هو رصيد النشاط من العمل

الاستباقي والاستئثار بعنصر المفاجأة؟

٦- **مدى حماية النشاط**: كلما ازدادت خطوط الحماية التى أعدتها المقاومة لحماية أنشطتها كلما كانت أقدر على الإعلان عن نشاطاتها وأكثر جاهزية لاستثمار عواقب النشاط التى سيلجأ إليها الخصم، دون الإستدراج إلى منزلق ردود الأفعال. من هنا كان سعي الفعل المقاوم إلى حماية أنشطته حتى يحقق أهدافه، لذلك فإن من أهم الأسئلة التي تطرح لتصنيف النشاط.. ماذا أعد النشطاء لحماية النشاط؟

يمكن بهذه العوامل الستة خلق مسطرة لتقييم أي نشاط والتعرف على مدى قربه من المقاومة أو الاحتجاج. فكلما استوفى النقاط السابقة كلما كان أقرب إلى المقاومة .

المقاومة	الإحتجاج
عمل قادر على إحداث التغيير.	عمل رمزي لا ينتهي بالتغيير.
فعل.	رد فعل.
نشاط علنى يتسم بالتحدى.	نشاط يتسم بالانتهاء بالمهادنة.
خطوط حماية فعالة.	حماية عفوية غير مخططة.
إرادة ووعى بالأهداف.	عفوية.
تصميم على الاستمرار حتى تتحقق مكاسب حقيقية.	تسجيل حضور والتعبير عن موقف ثم الإذعان.
قائمة على تصور استراتيجي بعيد المدى.	لا تعتمد بشكل كبير على تصور استراتيجي بعيد المدى.

جدول ٤: المنظومة السداسية للتمييز بين المقاومة والاحتجاج، حيث تتسم أعمال المقاومة بأنها أفعال تدفع الخصم إلى الرد ، وتكون هذه الأفعال علنية تتحدى الخصم، وتسعى لفرض قوانين صراع جديدة تمكن المجتمع من حماية أنشطته والاستمرار التصعيدي فيها حتى يصل إلى مبتغاه بشكل واع استراتيجي رغم أنف النظام الدكتاتوري القمعي

وهنا ينبغي التذكير بأن المقاومة ليست شعارًا يعلنه النشطاء «**نحن مقاومون**»، ولكنها فلسفة وثقافة تحكم نمط التفكير، وطريقة في الفعل والحركة تعكس الأداء المقاوم، وإعداد جاد من أجل الانتصار، لا الاكتفاء بتسجيل الحضور.

أيهما أفضل.. المقاومة أم الاحتجاج؟

ليس من الصواب أن نسأل أيهما أفضل؟ المقاومة أم الاحتجاج أم الدمج بينهما؟ فهناك عدة عوامل يتم الاختيار على ضوئها:

- **طبيعة الصراع**، والمرحلة التي يمر بها، ومدى حدة المطالب ورغبة واستعداد الخصم للاستجابة لها.
- **هدف المقاومة**، فربما أرادت فقط بنشاطها إرسال رسالة تحذيرية للخصم، أو لفت انتباه الرأي العام.
- **إمكانيات وقدرات المقاومة**، فللقدرات المتاحة فعليًا قول يجب الإصغاء إليه.

لكن بصفة عامة وكخط أساسي في حرب اللاعنف فإنها حرب تقوم على فلسفة المقاومة، من حيث أنها تعمل عن وعي ورؤية استراتيجية وإلحاح مستمر واستعداد للتحدي والمواجهة.

إن المقاومة في جوهرها هي العصيان. وأخطر وباء على حركة اللاعنف هم أولئك الذين يحتجون ثم يعودون ويذعنون في النهاية. لأنهم يخلخلون روح المقاومة.

المطلوب:

١- أن تدرك الحركات التغييرية الفارق بين المقاومة والاحتجاج.
٢- أن تستخدم الأساليب المناسبة للخيار الذي اتخذته سواء كان قرارًا بالمقاومة أو الاحتجاج.

obeikandl.com

الأساس الثاني: الفوز بالطرف الثالث

ليست حرب اللاعنف حربًا محدودة قائمة بين حركة التغيير والنظام المستبد؛ ولكنها حرب شاملة، لابد فيها من تعبئة جميع مصادر قوة المجتمع بهيئاته ومؤسساته وأفراده ضد الأنظمة المستبدة وبنيتها التحتية ومصادر وأدوات قوتها.

ومن هذا المنطلق فإن حرب اللاعنف لا يحسمها عادةً أي من طرفي الصراع المباشرين – النظام والحركة المقاومة، بل إن عنصر الحسم هو قدرة أحد الطرفين على الفوز بالطرف الثالث في الصراع والتأثير فيه، هذا الطرف الثالث هو المجتمع.

فلا سبيل أمام حركة المقاومة لعزل الحاكم عن مصادر قوته وإصابته بالمجاعة السياسية إلا عبر التأثير في الجماهير والمؤسسات والقوى الداعمة وإقناعها بسحب تعاونها معه. ولا سبيل أمام النظام لكسب تأييد الجماهير في حملته ضد المقاومة إلا بالتأثير فيها عبر صياغة المبررات الأخلاقية والقانونية لضرباته الموجهة إلى الحركة التغييرية، أو عبر الترهيب من عواقب الانخراط في صفوف المقاومة.

وتأتي أهمية هذا الأساس في ظل زهد بعض الحركات التغييرية في الجماهير، حيث تردد الكثير من المقولات من قبيل «**الجماهير سلبية ... الجماهير لن تتحرك .... الجماهير لا تستحق الحرية ... الحركات تبذل أقصى ما في وسعها بينما الجماهير في سبات عميق..**»، والحقيقة أن اتهام شعب ما بالسلبية تعميم يفتقر إلى الدقة والموضوعية، فحتى نقول بسلبية أو إيجابية الجمهور يجب أولًا أن ندرس كيف يعمل العقل الجمعي للجمهور.

الحاسة السادسة

إن الجمهور يتميز بحاسة سادسة يستطيع أن يحدد من خلالها دوره، ومدى تجاوبه مع قضية ما. فالجمهور لا تعنيه الأيديولوجيات والأفكار المركبة، ولا

يتعامل بعاطفية مع قوى التغيير فيجاملها ويتحرك معها استحياء من خطابها، وإنما هناك ثلاثة عناصر أساسية[١] تحكم قراره الجمعي:

١- **العائد**: ما العائد الذي سيحصل عليه إذا تحرك؟

٢- **التكلفة**: ما حجم التكلفة التي لابد أن يدفعها ليحصل على العائد؟

٣- **الإمكانية**: ما إمكانية الانتصار وتحصيل العائد في حالة دفعه للتكلفة التي تطلبها منه الحركات التغييرية؟ أي هل لدى الحركات التغييرية أسباب الانتصار في حالة تجاوب معها الجماهير أم أنها لا تملك خطة وأدوات محكمة؟

ويأتي دور الحركات التغييرية للفوز بالطرف الثالث، بإظهار مدى أهمية فكرة التغيير، والتبشير بالمستقبل الجديد، واختيار الفكرة الحاشدة الملامسة لآمال الجمهور، والتقليل من شأن التكلفة في مقابل العائد، ورفع الحالة المعنوية والتأكيد على إمكانية النصر – خاصة بالمبادرات العملية الجريئة- في حالة ممارسة الجماهير للفعل السياسي المطلوب. أما عندما يرى الجمهور حركات التغيير مترددة، فإنها ترسخ عنده الشعور بعدم إمكانية الفعل، ويختل أحد أضلاع مثلث تحريك الجماهير.

فالرسائل السياسية المؤثرة والحقيقية ليست تلك الموجهة من حركة التغيير إلى النظام؛ وإنما تلك الموجهة إلى الجماهير.. الطرف الثالث.

---

(١) د. جاسم سلطان، التفكير الاستراتيجي والخروج من المأزق الراهن، مؤسسة أم القرى للترجمة والتوزيع، ط١، المنصورة، ٢٠٠٦، ص ٢١٦: ٢١٨.

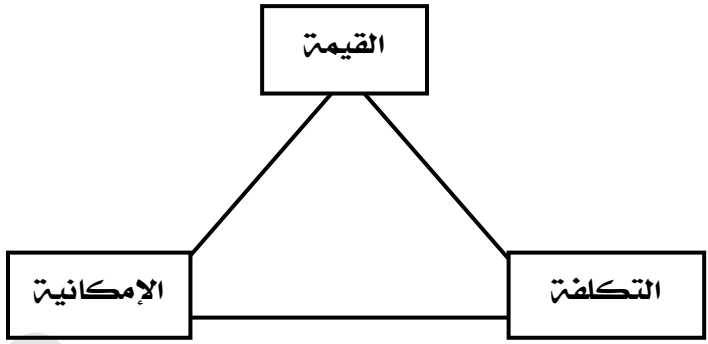

شكل ٢٩: الحاسة السادسة للجماهير، والتي يمكن استخدامها لدعوتهم إلى المشاركة في الصراع

المطلوب:

١- أن تصوغ الحركات التغييرية فكرتها ورؤيتها للمستقبل بما يلهب عواطف الجماهير.

٢- إقناع الجماهير بأن التكلفة المطلوبة قليلة جدًا مقارنةً بالعوائد المتوقعة.

٣- إقناع الجماهير بقدراتها وإمكانياتها. وقدرة حركة التغيير على قيادة المسار عبر خطة فعالة.

٤- أن تهتم بتوجيه رسائلها للجماهير.. أداة الحسم الرئيسة في حرب اللاعنف.

الأساس الثالث: حرب اللاعنف والنضال فوق الدستوري

أشرنا من قبل في الفصل الأول من الباب الثاني (**طبيعة الصراع**) إلى وجود مسارين رئيسين لحسم الصراع: المسار الأول هو المسار البارد، الذي تستخدم فيه آليات الحوار والتفاوض والانتخابات والاستفتاءات الجماهيرية وغيرها. أما المسار الثاني فهو المسار الساخن، الذي يتضمن كلًا من العنف وحرب اللاعنف.

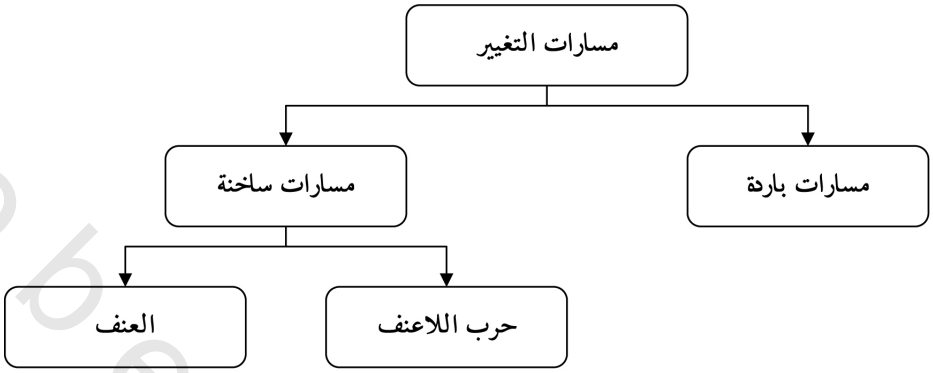

شكل ٣٠: مسارات التغيير

والوسائل أو المسارات الباردة تسلك في مجملها مسارات دستورية، ومن ثم يحرص من ينتهجون تلك المسارات أو يعتمدون نهج النضال الدستوري على عدم مخالفة الدستور أو انتهاك القوانين، وهو ما نراه واضحًا في الأحزاب والهيئات والمؤسسات في المنظومة الغربية الديمقراطية.

أما المسارات الساخنة فتلجأ إليها الأحزاب والحركات في الصراعات الصفرية، وحين تكون المسارات الدستورية خاضعة لسيطرة الخصوم المعاندين وللأنظمة الديكتاتورية بشكل كامل، فعندما تكون الأنظمة المستبدة قادرة على لي عنق الدستور والقوانين أو عدم تطبيقها، وصياغة ما يناسبها من قوانين، وإلغاء وتجاهل ما يهدد وجودها واستقرارها من الدساتير؛ تصبح المسارات الدستورية غير مجدية، وحينها تلجأ قوى التغيير إلى المسارات الساخنة «**فوق الدستورية**».

ففي المسار الساخن العنيف كالانقلابات العسكرية وحروب العصابات لا شك أن الحركات المقاومة تنتهك القوانين، وفي المسار الساخن اللاعنيف «**حرب اللاعنف**» تعمد الحركات إلى تغيير قواعد اللعبة السياسية عبر انتهاك القوانين الجائرة والظالمة، ومحاولة نزع الشرعية عن النظام المستبد. فحرب اللاعنف يمكن

نعتها بأنها نضال فوق دستوري.

وهذا التقسيم يفيدنا في الفصل بين المسار الساخن والمسار البارد، حيث تعتقد أحيانًا حركات التغيير أن النضال الدستوري والدخول في الانتخابات البرلمانية يمكنها من أن تحدث التغييرات المطلوبة، بينما حرب اللاعنف لا تسلك عادة النضال الدستوري، ولا تعتمد على الإجراءات القانونية القائمة، لذلك لا تصنف الانتخابات من وسائل حركة اللاعنف[1]، فالانتخابات وسيلة باردة تستخدم في النظم المتحضرة، وهي السبيل إلى التنافس على السلطة حين يضمن الناخب ألا يُسرق صوته.

وقد تكون الانتخابات أحيانًا ثمرة لحرب اللاعنف، أو مناسبة لشن حرب اللاعنف، حيث تخطط حركات اللاعنف لشن حملات لاعنيفة تكون في نهايتها فرصة للدخول في معركة الانتخابات، بعد أن يتم تهديد قبضة الديكتاتور على السلطة. وضمان حرمانه من سرقة الأصوات.

هذا التمييز بين الوسائل الباردة والساخنة والنضال الدستوري وفوق الدستوري في غاية الأهمية، حيث يؤدي اللبس بينهما إلى استخدام وسيلة في غير موضعها وفي غير ميدان فاعليتها.

---

(١) بمراجعة وسائل وأسلحة حرب اللاعنف في الفصل الرابع من الباب الثاني لن نجد الانتخابات مدرجة كوسيلة من وسائل حرب اللاعنف، لأنها بوابة مرور مفتاحها بيد النظام الديكتاتوري، وتمثل أداة من أدوات النضال الدستوري في الدول الديمقراطية، بينما حرب اللاعنف قائمة على النضال فوق الدستوري.

أما ما طرحه جين شارب في الوسيلة الخامسة عشر من تكوين «**اللوبي**» والضغط من داخل البرلمان، فهو صالح في الدول الديمقراطية، حين تستطيع المعارضة في البرلمانات أن تعرقل قرارًا، أو تمنعه، وقد يصلح في الأنظمة الديكتاتورية التي تتجمل ببعض المجموعات المعارضة مع القضايا غير المصيرية، فتستجيب للضغوط، أما إن كانت القضية مصيرية وعلى المحك، ويتجسد فيها الصراع الصفري، فحينها يصعب أن يمارس اللوبي ضغطًا حقيقًا، وأقصى ما يستطيعه هو الاحتجاج.

الأساس الرابع: حرب اللاعنف علنية لا تعرف السرية

إذا كان جوهر حرب اللاعنف هو العصيان، وكانت الحركات التغييرية تسعى للفوز بالطرف الثالث (الجماهير)؛ فإن المقاومة ينبغي ألا تعرف السرية. فلكونها تسعى إلى أن تُعَلِّم الناس التمرد والعصيان؛ فإنها لا تتخفى عن أعين الناس، والمشاركون لا يتعمدون إخفاء أنشطتهم عن السلطة. ولذا فإن كتابة شعار سياسي أو رسالة ما على حائط أو جدار ما تحت جنح الظلام يعتبر نوعًا من أنواع الاحتجاج وليس المقاومة، حتى لو جاء بنتائج سياسية مرضية.

ولذلك ينبغي لحركات اللاعنف أن تعي جيدًا أن المواطنين هم المستهدف الرئيس للعصيان، وأنه لابد أن يرى الناس أفرادًا من الشعب يمارسون العصيان جهارًا ويتحملون عواقبه. وأن الأعمال التي تتم في جنح الظلام لا تشجع الآخرين على أن يمارسوا العصيان. لذلك فالأعمال المتخفية المعزولة عن الجمهور لا تعد عصيانًا.. فالعصيان يعني الرفض، رفض للنظام وكسر لقانون أو وضع جائر دون تخف.

وعلى حركات المقاومة أن تقنع الجماهير بأن ممارسة العصيان والمقاومة لا تتطلب قدرات خاصة. وأن كل الشعب بإمكانه أن يشارك في أنشطة العصيان.

وتكون مهارة الحركة في أن يستثمر جهازها الإعلامي هذه الأنشطة، وكلما زاد القمع وبدأ التحرش بالمشاركين؛ كان ذلك مؤشرًا على نجاح العصيان. ويجب أن يستفيد الجهاز الإعلامي المقاوم من كل تحرش، أو صدام، أو كلمة نابية، أو فلتة لسان، أو عمل لا أخلاقي، أو مقتل لأحد المقاومين ليمتلك ورقة رابحة ودليلًا دامغًا على أن الشعب قرر العصيان. وإذا فوت الجهاز الإعلامي هذه الأحداث يكون قد فرط في أداة قوية من أدوات نجاح العصيان. إن قوة النشاط في فقه العصيان قد تكمن في العقوبة التي ستوجه إلى المقاومين، والتي سيستثمرها إعلام المقاومة.

وعندما نتحدث عن علنية حركة التغيير لا نقصد بذلك العلنية على مستوى الحركة فقط (**بمعني أن الحركة علنية وليست سرية**)؛ وإنما نقصد أيضًا العلنية على مستوى الأنشطة المختلفة.[١]

المطلوب:

أن يكون المسار العام لقوى التغيير يتميز بالابتعاد عن العمل السري، حتى على مستوى الأنشطة.

الأساس الخامس: حرب اللاعنف والعمل المباشر

تتميز حرب اللاعنف في مقاومتها بالعمل المباشر، ومن الأمثلة على الفعل المباشر الرمزي ما قامت به حركة السلام في السويد، عندما قامت بإعاقة صفقة حكومية لتصدير السلاح في عام ١٩٨٣، حيث تمكنت مجموعة من النشطاء – رغم ضعفها التنظيمي – من تعطيل سفينة محملة بالسلاح لمدة ساعة، مرسلة برسالة رمزية بضرورة وقف تصدير السلاح كليةً، وفي نفس الوقت فقد حققت هدفها بشكل رمزي ومنعت تصدير السلاح فعلًا.

وعندما تقوم حركة بإيواء مجموعة من المشردين ممن لا مأوى لهم؛ فإنها بذلك تسلط الضوء على قضية المشردين، وفي نفس الوقت تحقق هدفًا من أهدافها، وهو إيجاد مأوى لهؤلاء المشردين.

---

(١) قد تلجأ حركات العصيان أحيانًا إلى السرية على مستوى التكتيك وليس على مستوى الاستراتيجية، كإخفاء بعض القادة عن أعين آلة القمع، ولا تنسحب مقولة «**لا تعرف السرية**» بالضرورة على تفسير المسار التاريخي الكلي للحركة. فقد تبدأ حركة المقاومة كحركة معارضة لا تعتمد العصيان، ثم تتطور إلى حركة عصيان. ومن ثم فإن حديثنا عن العلانية يفهم في إطار شرح الاستراتيجية العامة للحركة المقاومة في مرحلة العصيان. كما يجب التمييز بين حفاظ الحركة على بعض أسرارها، أو عدم الإعلان عن بعض الأنشطة من قبيل الحفاظ على عنصر المفاجأة والتضليل الاستراتيجي، وبين أن تكون الحركة قائمة على السرية.

obeikandl.com

وعندما ينام عدد من النشطاء على شريط سكة حديد، أو يستخدمون الحواجز المعدنية معترضين سير قطار ينقل سجناء الرأي والسجناء السياسيين، فهم يمنعون ذلك بأجسادهم، كما يعبرون عن رفضهم تقييد حرية أصحاب الرأي.

ويجب الإشارة هنا إلى أن العمل المباشر لا يحظر الاستعمال الرمزي للقوة. فعندما قررت حركات المقاومة في صربيا عام ٢٠٠٠ في ساعة الحسم اقتحام البرلمان، فإنها أحضرت الجرارات معها لإزالة الحواجز والمتاريس الموضوعة على الطريق لتحول دون وصولهم إلى العاصمة بلجراد. ولم تشتبك مع الشرطة في صراع عنيف دام، بل أزالت الشاحنات، حتى أصبحت الشرطة في النهاية تقيم الحواجز ولا تدافع عنها.

إن اللاعنف ليس مبنيًا على الاستسلام، وإنما على القدرة على المواجهة والعناد ومقاومة الخصوم الأقوياء.

المطلوب:

أن تمارس الحركات التغييرية الفعل المباشر المؤثر.

الأساس السادس: حرب اللاعنف والاقتراب غير المباشر

هناك استراتيجيتان أساسيتان للتغيير، سواء كان تغييرًا عنيفًا أو غير عنيف:

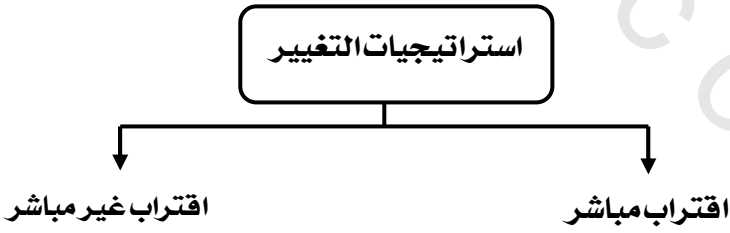

شكل ٣١: استراتيجيات التغيير

obeikandl.com

أولًا: استراتيجية الاقتراب المباشر

وتعتمد هذه الاستراتيجية على إمساك الثور من قرنيه، والاصطدام المباشر. بمعنى أنها تقوم على حشد قوى الحركة التغييرية في مواجهة نقاط قوة الخصم، ومن ثم الدخول في مواجهة حاسمة تنتهي بالقضاء على قوة أحد الطرفين.

ولا يمكن أن تلجأ الحركة التغييرية المقاومة إلى هذه الاستراتيجية إلا إذا كانت كفة ميزان القوى تميل لصالحها، أو في أقل الأحوال توازن ميزان القوى بينها وبين قوة الديكتاتور.

ثانيًا: استراتيجية الاقتراب غير المباشر

أما استراتيجية الاقتراب غير المباشر فتتضمن المناورة وعدم الاصطدام المباشر «عدم إمساك الثور من قرنيه»، بمعنى أنها تقوم على حشد قوى الحركة التغييرية في مواجهة نقاط ضعف الخصم، وإحداث فجوات في بنيان الخصم يمكن منها الولوج إلى نقاط قوته. أي أنها تعني عدم اختبار العدو في امتحان مباشر للقوة.

وهذه الاستراتيجية تتضمن عدم الاقتراب من الخصم إلا بعد أخذ الاحتياطات اللازمة لإزعاجه ومفاجأته بهدف زعزعة توازنه بهجوم غير متوقع تقوم به من اتجاهات متعددة. والواقع أن تكتيكات الاقتراب غير المباشر تفرض نفسها على أحد الخصمين المتنازعين إذا كان لا يثق ثقة تامة بأنه من القوة بحيث يستطيع التغلب على خصمه في معركة تنشب على أرض يختارها عدوه.

ويقترح ليدل هارت الاستخدام المنهجي للاقتراب غير المباشر، بمعنى التقدم نحو الخصم من اتجاهات غير متوقعة، ثم التقدم في اتجاهات متعددة والقيام بتغييرها بحيث تصرف تفكير الخصم عن الأهداف الحقيقة للهجوم.[1]

(١) صلاح أحمد زكي، تجديد الفكر المقاوم.. نحو نظرية للأمن العربي، دار الفكر العربي، ط١، ١٩٨٧.

ومن الأخطاء التي تقع فيها الحركات التغييرية الشابة والفتية استخدامها لاستراتيجية الاقتراب المباشر قبل أن تستكمل عدتها، وهو ما يؤدي إلى وأدها وهي لا تزال تحبو.

وعلى النقيض من ذلك، غالبًا ما تمارس الحركات التغييرية العريقة والتاريخية – والتي مرت بالكثير من التجارب المريرة نتاج صداماتها المختلفة مع النظام – استراتيجية الاقتراب غير المباشر حتى في اللحظات المفصلية والتاريخية، والتي تحتاج إلى جرأة على اتخاذ قرار المواجهة المباشرة.

وفي الواقع فإن حرب اللاعنف تعتمد على الدمج بين الاستراتيجتين، وما يمكن أن ينتج عن الدمج بينهما لا حدود له. وعادة ما يستخدم الاقتراب المباشر في الحملات النهائية الحاسمة، بعد أن يكون الاقتراب غير المباشر قد تمكن من تقويض مصادر القوة التي ترتكز عليها الديكتاتوريات.

المطلوب:

١- أن تعتمد الحركات التغييرية استراتيجية الاقتراب غير المباشر في المراحل الأولى لمفاجأة الخصم واستنزافه من حيث لا يحتسب.

٢- استخدام استراتيجية الاقتراب المباشر في الحملات والمراحل الحاسمة.

الأساس السابع: الالتزام بمبدأ اللاعنف

إن الصراع السياسي الصفري لابد وأن يمر في أحد أطواره بمرحلة القمع، خاصة عندما يستشعر النظام خطر قوى التغيير، فلا يجد بدًا من اللجوء إلى القمع لإجبار المجتمع على القبول ببقائه وشرعيته.

وفي مرحلة القمع يحتاج النظام في صراعه مع القوى الوطنية – وهو صراع يفترض أن يكون مدنيًا دستوريًا – إلى المبررات التي تسوغ لجوءه للقوة لإقناع

المجتمع الدولي والمواطنين، وهذه المبررات تنقسم إلى نوعين:

١. **مبرر أو غطاء أخلاقي**، وهو ضرورة إنسانية (**ضرورة ضميرية**): مثل التبرير بحماية الشباب من التغرير بهم، وغسل عقولهم ،وحماية المجتمع من الحركات المشبوهة التي تستعين بالجهات الخارجية وبالتمويل الأجنبي لتدمير المجتمع وإضعافه.

٢. **مسوغات قانونية** أو غطاء عقلي، وهي ضرورة للتقبل العقلي (**ضرورة عقلية**): من قبيل مخالفة القوانين، والاعتداء على الممتلكات العامة، وتعطيل مصالح الجماهير ،والانتماء لتنظيمات محظورة.

وفي إطار مواجهة الهجمة الشرسة للأنظمة المستبدة تجد الحركات التغييرية نفسها أمام خيارين:

الأول: الاستمرار في شن الحملات اللاعنيفة على النظام الديكتاتوري.

الثاني: اللجوء إلى العنف اعتقادًا بأنه السبيل الوحيد المناسب للتعامل مع تلك الأنظمة العنيفة.

ومن أسس حرب اللاعنف الالتزام بالمسار اللاعنيف، وعدم اللجوء إلى البدائل العنيفة، لعدة أسباب أهمها:

- أن المنتج النهائي لحرب اللاعنف يصعب تحقيقه من خلال العنف، هذا المنتج هو المجتمع الحر صاحب الرسالة الحضارية. وإعادة توزيع القوة في المجتمع، الأمر الذي يصعب تحقيقه بقلة تمكنت من السيطرة على الحكم.
- تكلفة العنف عالية في الأرواح، ويخلق نتوءات في المجتمع، وجراحات وثارات يصعب التحكم فيها إلا بعد حين، وبذلك يؤثر العنف في البنية الاجتماعية تأثيرًا سلبيًا، بينما اللاعنف يخلق مجتمعًا حضاريًا حرًا.

• العنف لا يأتي بحكم ديمقراطي، بل يزيد الديكتاتورية، حيث إن العنف يعتمد على استبدال مولد الطاقة في المجتمع بآخر، وقلما نجحت التجارب العنيفة في إقامة حكم ديمقراطي، بينما اللاعنف يعتمد على إعادة تعريف القوة وردها إلى الشعب.

• الجماهير لا تتعاطف أو تتجاوب أو تدعم فكرة العنف في التعامل مع قضايا الاستبداد الداخلي.

• العنف لا يقابل بدعم معنوي أو مادي دولي، بل يتم محاربته كإرهاب، وهو ما يعطي الحكومة شرعية وأد الحركات العنيفة. وانطلاقًا من نظرية تعدد مصادر القوة فإن الدعم الخارجي للديكتاتوريات يعد شريان حياة أساسيًا لتغذية النظام، واستخدام العنف يضمن ديمومة تدفق هذا الشريان، بينما حركة اللاعنف تسعى لأن تخفف أو تعزل الدعم الخارجي عن النظام، لذلك تهتم بأن تظهر أمام العالم كحركة متحضرة.[١]

• يمثل العنف الملعب الأفضل للخصم حيث تتوافر فيه كل إمكانياته، فالنظام يعتمد على المركزية وعلى طاعة الجمهور، وعلى استخدام القمع، ويلعب وفق قواعد تتيح له استخدام هذه الأدوات، ومن ثم فإن الدخول إلى مسرح العنف يعني تفوق الخصم في الإمكانيات وشرعية مقاومة المتمردين، لذلك يعتمد اللاعنف على إجبار الخصم على الدخول في لعبة جديدة وفق قواعد جديدة لا يتقنها، هذه اللعبة هي لعبة اللاعنف. التي تعتمد

(١) تعريف العصيان المدني عند الأكاديمية أنه نشاط شعبي متحضر، يعتمد أساسًا على مبدأ اللاعنف وسحب الطاعة، فكلمة مدني ترجمة لكلمة civil، والحضارة civilization، وهو عكس ما يتبادر إلى الذهن أن المدني فقط يعني أنه عكس العسكري. والعصيان المدني هو أحد وسائل حرب اللاعنف.

obeikandl.com

استراتيجية الجيوجيتسو.[١]

سؤال مهم: هل يمكن استخدام القوة البدنية في إطار اللاعنف؟

يفضل عدم استخدام القوة البدنية (على المستوى الاستراتيجي حيث قد تتطلبها الضرورة التكتيكية أحيانًا) في أنشطة حرب

اللاعنف للأسباب التالية:

- أنها تعزل قطاعات كبيرة من المجتمع، كأولئك الذين لا يتمتعون بقدرات بدنية، وبذلك يتحول النضال إلى صراع محترفين ذوي قدرات خاصة، وليس صراعًا شعبيًا، يستطيع الكل المشاركة فيه.
- يعزل النساء والأطفال والعجائز عن المشاركة، وبذلك تخصم حركة

(١) يخلق الصراع السياسي باستخدام وسائل الكفاح اللاعنيف في مواجهة القمع العنيف وضعًا خاصًا يتسم فيه الصراع بعدم التناسق، وبالتالي يستخدم مقاومو حركة اللاعنف هذا اللاتناسق بين وسائل اللاعنف في مواجهة الفعل العنيف في وضع خصومهم في وضع سياسي مشابه لما يحدث في المصارعة اليابانية، فهذا التفاوت بين أسلوبي الفعل – اللاعنف في مواجهة العنف – يفقد الخصم توازنه السياسي مما يجعل آلية القمع ترتد عليه وتضعف قوته. وبالحفاظ على المسار اللاعنيف خلال المضي قدمًا في الكفاح تزداد قوة المقاومين، هذه العملية تسمى «سياسة جيو-جيتسو».

وتتسبب سياسة المصارعة اليابانية في زيادة عزلة النظام على مستويات ثلاثة:

- حيث تزيد عزلته عن أعضائه،
- وعن أفراد الشعب المتضررين مباشرة من القضايا التي يدور حولها الصراع،
- وعن الأطراف الثالثة التي لم تتورط بشكل مباشر في الصراع، وقد تؤدي هذه العزلة إلى زيادة المعارضة الداخلية في معسكر الخصم، كما أنها قد تزيد من عدد المقاومين بما يضمن بقاء المقاومة، كما أنها غالبًا ما تؤدي إلى تحول الأطراف الثالثة إلى مواجهة الخصم وتأييد المقاومين.

ومصطلح الـ «جيو-جيتسو» (Jiu Jitsu) مفهوم ياباني يعني «الفن الناعم»، وهو طريقة للدفاع عن النفس نقلها البحارون منذ قرن تقريبًا إلى أوروبا، وتعتمد أساسًا على مبدأ الانتصار عن طريق التراجع والتخلي التكتيكي «Siegen durch Nachgeben» حيث يتم من خلال ذلك استغلال هجوم الخصم واندفاعه وطاقته التي استنفذها واستعملها لتوظيفها ضده.

ولا يعتمد فن «الجيو-جيتسو» على القوة للسيطرة على الخصم وضربه حتى الموت أو الاستسلام؛ بل إنه صُمم لمواجهة الخصم الذي يفوقك في القوة البدنية والعضلية.

اللاعنف من رصيد المقاومين.

المطلوب:

أن تضبط الحركات التغييرية حركتها، فلا تنجر وراء دواعي العنف.

الأساس الثامن: النظرة للممكن والصواب

أولاً: النظرة للممكن وغير الممكن

وتتطلب هذه النظرة تحريرًا للعقول، وإعادة التفكير فيما اعتادت أن تعرفه بالممكن وما ألفت أن تسميه مستحيلًا، لأن مسئولية الفرد تجاه مجتمعه ومطالبته بحقه الطبيعي في تلبية نداء الضمير يؤكد على وجوب مقاومة النظم الديكتاتورية، وعدم السماح لها بالتحكم في تصرفاتنا وسلوكنا، أو أن تملي علينا ما الذي يمكننا أو لا يمكننا عمله.

إننا عادةً ما نسمح للنظام بالتحكم في تصرفاتنا وسلوكنا من خلال ما نتصوره ممكنًا أو غير ممكن، غير أنه من خلال **أنشطتنا فقط** تتأكد لدينا إمكانية الفعل أو استحالته. فعلى سبيل المثال

من المنطقي والطبيعي أن تكون السلطة أو الحكومة وحدها هي القادرة على تحديد أي الأسلحة تنزع وأيها يدمر في مفاوضات نزع السلاح، ولكن عندما يقوم عمال مصانع الأسلحة من نشطاء العصيان المدني بإبطال فعالية هذه الأسلحة أو نزعها بأنفسهم تتغير حينها قناعاتنا حول من بإمكانه أيضًا أن يقوم بالعمل الذي ترفض الحكومة القيام به. فأشياء تبدو لأول وهلة أنها مستحيلة لكنها تحدث، وأمور تبدو في يد النظام وحده، لكن مجموعة بسيطة تستطيع أن تثبت عكس ذلك. كذلك عندما قررت مجموعة من القضاة في مصر في الانتخابات البرلمانية ٢٠٠٥ الحيلولة دون تزوير الانتخابات، فإنها غيرت نظرة المعارضة للممكن وغير الممكن،

حيث إن قرار منع التزوير كان يُعتقد أنه منحة من الحاكم، لكن مجموعة من القضاة الذين يشرفون على الانتخابات، يثبتون أن القوة موزعة في أماكن متعددة، وأنهم قادرون على توصيل رسالة «**إننا قادرون على الفعل**».

إن واجب حركات اللاعنف أن تعيد تعريف القوة، وهذا لا يتم بنشر الأفكار والكلمات فحسب، بل بالأفعال الجريئة التي تثبت عمليًا أن القوة موزعة في المجتمع، مما يزيل الغشاوة من أعين الناس، ويبطل فعل برنامج سلب العقول الذي يسيطر على الأذهان، ويحجب الرؤية عن الأبصار.

ولكي نتمكن من رؤية الواقع أقرب ما يكون للحقيقة، وتصح تصوراتنا عن الإمكانية الحقيقية لفعل ما؛ فلابد من إخضاعه للتجربة، وهي وحدها الحكم الذي يقرر الإمكانية من عدمها. ولا ينبغي أن تكتفي حركات التغيير بانهزام الإرادة والتسليم لإيهامات الخصم بأن كل شيء في قبضته وأنها يجب ألا تتخطى الخطوط الحمراء التي وضعها أو توهمت وجودها.

ثانيًا: النظرة للصواب والخطأ

وبالمثل فإن رؤيتنا التقليدية لما هو صحيح وما هو خطأ تتحكم بسلوكنا إلى حد كبير، فطاعة القانون مثلًا وعدم تخريب الممتلكات مبدآن أخلاقيان متجذران في ثقافة المجتمع، ولكن حين يقوم نشطاء البيئة في أوروبا بتفكيك الآلات المضرة بالبيئة والتي يحميها القانون - أي يحمي الإضرار بالبيئة وتخريب الطبيعة - سيكون من المعقد جدًا أن نفهم هذا التعارض بين القضيتين. ماهو الصواب وما هو الخطأ. وعندما تقوم حركة العصيان المدني بالدعوة إلى الامتناع عن دفع الضرائب، فإنها لا تدعو لعمل غير أخلاقي - رغم أن ظاهره قد يبدو كذلك، فقد يكون الهدف من وراء هذا الامتناع هو إيقاف عمليات الرشاوى والفساد التي تتم تحت مظلة «الضرائب».

قد يتحدث الكثيرون عن أخلاقيات حرب اللاعنف، لكن هذه الأخلاقيات تختلف بحسب النظرة إلى ما هو ممكن وغير

ممكن، وما هو صواب أو خطأ، والمطلوب هو إخضاع هذه الأعراف والقناعات للتجربة بالحوار مع الخصم، ومن ثم كل المجتمع، عن طريق أنشطة واستراتيجيات حرب اللاعنف.

الأساس التاسع: الرمزية

وللرمزية ثلاثة معان يجدر بنا أن نشير إليها:

الأول: الرمزية في شكل العمل: مثل عمل عزاء أو لبس السواد اعتراضًا على قضية ما.

الثاني: الرمزية في مدة العمل: أن يكون العمل رمزيًا أي لفترة محددة ومؤقتة. مثل الفارق بين الاعتصام أو الصيام عن الطعام لفترة محددة بدلًا من الإضراب عن الطعام، إذ يعطي الأول رسالة مفعمة بالأمل أن السلطات سوف تستجيب، والثاني محمل باليأس أنه لا فائدة وأننا سننتهي إلى المعاناة الشديدة أو الموت بسبب النشاط.

الثالث: الرمزية في أسلوب العمل: إيصال رسالة ضمنية لتحريك الجماهير، على سبيل المثال: إن انتزاع الحرية لن يتم بتفويض قلة من أبناء المجتمع تقوم بالنضال نيابة عنه، وإن العمل الذي يحتاج جهود معظم فئات المجتمع لا يمكن أن يتم بإلقاء مسئوليته على عاتق القلة. وهنا يكون هدف النشاط إعلام الأغلبية السلبية من الجمهور بأن اللاتعاون ممكن إذ قمنا به نحن الأقلية الإيجابية، وإن مشاركة الأغلبية ضروري لكي يؤتي العمل ثماره المطلوبة، فإذا استهدفت المقاومة إطلاق سراح المعتقلين السياسيين مثلًا وكان عددهم ستة أفراد، فإن الاكتفاء

بتحرير نصفهم يعطي هذه الرسالة: أن الاستجابة لمطلب إطلاق سراح المظلومين ممكن، وأنه لو تضافرت جهود أكبر فسيمكن منع النظام من استخدام أداة الاعتقال للضغط على حركة المقاومة.

وهنا تجدر الإشارة إلى أن الأعمال الرمزية لا تهدف إلى القضاء على الأنظمة الدكتاتورية، حيث إنها غير موجهة في هذه المرحلة إلى النظام، ولكنها موجهة إلى الجمهور لبناء قدرته على الفعل.

obeikandl.com

مفاهيم خاطئة

هناك سلسلة واسعة الانتشار من المفاهيم الخاطئة والوعي المغلوط بطبيعة الكفاح اللاعنيف، وقد أدى ذلك إلى تشويه فهم هذا النوع من الكفاح، وسنحاول معالجة بعض هذه المفاهيم في النقاط التالية:

- هناك اعتقاد شائع بأن العنف هو الطريق الأسرع لتحقيق النجاح، واعتقاد آخر بأن الكفاح اللاعنيف يستغرق وقتًا أطول، وكلا الاعتقادين غير صحيح على إطلاقه. فالعنف لم يحقق دائمًا نتائج سريعة، وتجربة مقاومة التمييز العنصري المسلحة في جنوب أفريقيا خير شاهد. وكما أن العنف قد يحدث أحيانًا نتائج أسرع، إلا أن اللاعنف كذلك حقق نجاحات سريعة في أحيان كثيرة. ففي خلال شهور تمكن المعلمون النرويجيون في عام ١٩٤٢ من إجهاض أول محاولة لنظام «الكويسلينغ» لإقامة دولة فاشية، وطُرد ديكتاتوريو «سلفادور وجواتميالا» في عدة أيام، ونجحت المقاومة الاقتصادية في المدن الأمريكية بشكل سريع في تقليل استئجار الأمريكيين من الأصل الأفريقي. وتعتمد سرعة تحقيق الإنجازات على عدة عوامل منها قوة القائمين على حركة اللاعنف. ويظل السؤال ما هو هذا المنتج المطلوب؟ وما هي هذه النتيجة المرجوة؟ وهل العنف هو الكفيل بتحقيقها أم اللاعنف؟
- يغلب الاعتقاد بأن الكفاح اللاعنيف يعبر عن الضعف، وأنه حيلة العاجز، وأنه يعني الخضوع والانبطاح واللاصراع، والحقيقة أن حرب اللاعنف ليست سلبية، وليست تراخيًا أو لاحركة، كما أنها لا تتجاهل وجود الصراع، أو تحاول تجنبه ؛ بل تسعى لإيجاد حلول فاعلة، وتركز على تهديد قبضة الديكتاتور على مصادر القوة، عبر استخدام أسلحتها

الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والإعلامية.

- لا يحتاج الكفاح اللاعنيف إلى قائد يسحر الجماهير. وإن كان غاندي يمثل القائد الكاريزمي؛ فإن حركة اللاعنف تطورت عبر التاريخ لنشهد تجلياتها في حركة «أتبور» في صربيا في عام ٢٠٠٠، حيث لا توجد قيادة مركزية، ويتم الاعتماد على مجموعات العمل. لذلك لا يشترط أن تقود هذه الحركات مجموعة من القديسين أو الفاشيين أو القادة الكاريزميين.
- ظاهرة الكفاح اللاعنيف عابرة للثقافات. فهي وإن كانت أكثر استخدامًا في الغرب، إلا أننا سنلحظ وجودها على امتداد الخارطة لتشمل قارات العالم.
- لا يتطلب الكفاح اللاعنيف معتقدات دينية محددة، على الرغم من أنه قد يُمارس في بعض الأحيان بدوافع دينية.
- يظن البعض أن اللاعنف معتقد ديني، وهو يمثل في الواقع ظاهرة مختلفة تمام الاختلاف عن مبادئ اللاعنف الديني أو الأخلاقي، فهو لا يعني التسامح، ولا يعني أن من يضربك على خدك الأيمن تدير له خدك الأيسر، إنه استراتيجية صراع، تتعامل مع الخصم الأقوى، وتسعى للإطاحة به عبر عزل مصادر القوة عنه. وإدراك هذا الاختلاف لابد أن يكون واضحًا ولا يُستهان به.
- يستخدم اللاعنف في الصراع بين الدول، وداخل النقابات، وفي حسم الصراعات داخل الأعمال والمطالبة بالحقوق، ولا يشترط دائمًا أن تكون الحكومة طرفًا فيه.
- على الرغم من شيوع الاعتقاد بأن نجاح الكفاح اللاعنيف مرهون

obeikandi.com

باستخدامه ضد الخصوم الذين يؤمنون بحقوق الإنسان والديمقراطية؛ فقد نجح هذا الأسلوب في مواجهة الأنظمة الوحشية والديكتاتورية مثل الأنظمة النازية والشيوعية.

✍ يعتقد بعض الأفراد والجماعات أن نجاح الكفاح اللاعنيف مرهون بتعاطف الأنظمة القمعية، ولكن الواقع يؤكد أن هذا الأسلوب استطاع أن يقهر ويدمر أقوى الديكتاتوريات.

- **الحركة واللاحركة**[١]

يحول اللبس بين معنى «العنف» و«اللاعنف» و«الحركة» و«اللاحركة» دون قبول الشعوب لحرب اللاعنف في الصراع السياسي مع الديكتاتوريات، وسبب الإشكالية أن الناس تطلق كلمة «العنف» على ما تكره، وكلمة «اللاعنف» على ما هو خَيِّر، الأمر الذي جعل «اللاعنف» مرتبطًا عند كثير من الشعوب بالخنوع والسلبية، ولذلك يجب ألا تقسم الحركات بحسب افتقارها للعنف، بل تقسم بين «الحركة» و«اللاحركة»، فتقسيم الحركات إلى «عنف» و«لاعنف» تقسيم تبسيطي،[٢]

(1) Gene Sharp, Politics of Non-violent Action, Part 1, (Extending Horizons Books, Porter Sargent Publishers Inc., 1973), pp. 64-66.

(٢) هناك ستة أصناف أساسية لأشكال الحركة ذكرها جين شارب في كتابه عن اللاعنف:

١. الإقناع الشفهي البسيط والسلوك المتعلق به مثل محاولة الاسترضاء والاستمالة.

٢. الإجراءات السلمية القانونية عن طريق التهديد أو استخدام العقوبات.

٣. العنف البدني ضد الأشخاص.

٤. العنف البدني ضد الأشخاص بالإضافة إلى التدمير المادي.

٥. التدمير المادي فقط.

٦. أسلوب حرب اللاعنف.

obeikandl.com

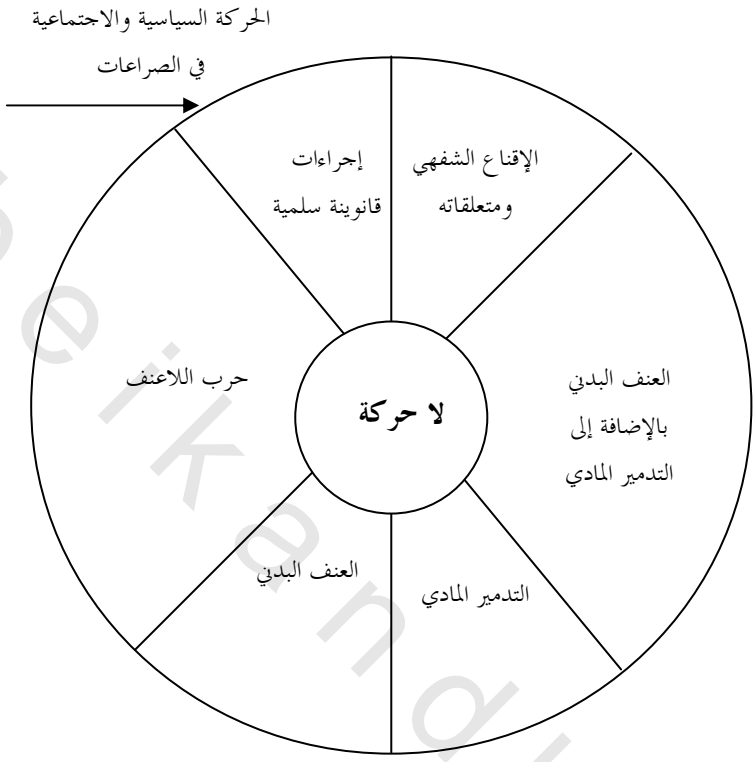

شكل ٣٢: الحركات التغييرية بين الحركة واللاحركة

والنموذج السابق يبين الفارق بين الحركة و اللاحركة، حيث تمثل الدائرة الكبرى الحركة السياسية والاجتماعية، بينما الدائرة الصغرى تمثل اللاحركة، وهنا يظهر جليًا مدى الخيارات الموجودة بين الحركة واللاحركة، والشعب قد يتحرك أمامًا أو خلفًا بين أصناف الحركات، ويخلط بين أصنافها الستة بدرجة من الدرجات في الفعل السياسي، لذلك فتصنيف الحراك السياسي والاجتماعي يقع بين «الحركة» و«اللاحركة» ولا يختزل في «عنف» أو«لاعنف».

obeikandl.com

المطلوب من حركات المقاومة

- أن تدرك الفارق بين المقاومة والاحتجاج.
- أن تستخدم الأساليب المناسبة للخيار الذي اتخذته. سواء كان قرارًا بالمقاومة أو الاحتجاج.
- أن تصوغ فكرتها ورؤيتها للمستقبل بما يلهب عواطف الجماهير.
- إقناع الجماهير بأن التكلفة المطلوبة قليلة جدًا مقارنةً بالعوائد المتوقعة.
- إقناع الجماهير بقدراتها وإمكانياتها.
- أن تهتم بتوجيه رسائلها للجماهير.. فهي أداة الحسم الأساسية في حرب اللاعنف.
- أن تبتعد عن العمل السري، حتى على مستوى الأنشطة.
- أن تمارس الفعل المباشر المؤثر.
- استخدام استراتيجية الاقتراب غير المباشر في المراحل الأولى لمفاجأة الخصم من حيث لا يحتسب.
- استخدام استراتيجية الاقتراب المباشر في الحملات والمراحل الحاسمة.
- أن تضبط الحركات التغييرية حركتها، فلا تنجر وراء دواعي العنف.

obeikandl.com

الخاتمة

إننا نسعى بطرحنا في هذا الكتاب «حرب اللاعنف ...الخيار الثالث» إلى فتح آفاق جديدة على بدائل واقعية يمكن استخدامها في معركة التغيير، فلا يكفي للانتصار في معركة الحرية مجرد الدفاع عن الأهداف بقوة وصلابة لفترة طويلة دون تحويلها إلى واقع عملي، فترديد الأهداف لا يعني تغيير الأوضاع القائمة، بل لابد من وجود مسار واضح وفعال.

ولا تعتبر حرب اللاعنف ضمانًا للنجاح، بالضبط مثلما لا يعد استخدام العنف ضمانًا له، فحرب اللاعنف ليست طقوسًا أو تعاويذ تتلى، بل تتشابه مع الحروب العسكرية في احتياجها إلى استراتيجيات وتكتيكات وحسن إدارة للصراع وحشد للموارد، ولا توجد ضمانات بنصر محقق قصير الأجل، لأنها لا تختلف عن الحروب العسكرية التي بدورها لا تضمن النصر المحقق. «فهناك مستلزمات يحتاجها هذا الأسلوب لتحقيق النجاح، كما أن هناك مستلزمات يحتاجها أسلوب العنف لتحقيق النجاح، ومجرد الإحجام عن استخدام العنف وترديد كلمة «اللاعنف» **لا يكفي لتحقيق النتائج المرجوة**».[1] فإذا لم تهتم حركة اللاعنف بالتدريب واختيار الاستراتيجيات المناسبة، فإن انتصارها سيكون بعيد المنال.

وبالنظر إلى التجارب التاريخية سنجد العديد من تجارب الكفاح اللاعنيف فشلت في تحقيق أهدافها، وأخرى نجحت في تحقيق إنجازات محدودة، وأخرى حققت إنجازات كلية، «**وفي بعض الحالات لم يدم الانتصار طويلًا لأن الناس لم يستخدموا هذا الأسلوب لتعزيز ومأسسة مكتسباتهم، أو لأنهم لم يقاوموا بفاعلية**

(١) البدائل الحقيقية، جين شارب.

التهديدات الجديدة بشأن حرياتهم، وفي بعض الحالات حققت بعض الحملات نجاحات جزئية، وهو ما كان يتطلب المزيد من الحملات لتحقيق الأهداف الكاملة.»[١]

وحتى يؤتي هذا الأسلوب ثماره ينبغي نشر الوعي به، وتجاوز القشور عن فكرة اللاعنف إلى صلب الفلسفة للتمييز بين حرب اللاعنف والأساليب السلمية الأخرى، وينبغي كذلك بذل جهد كبير في محاولة جمع المتناثر عن هذا الموضوع وبلورته في إطار كلي متماسك، حيث تتناثر مفردات هذه الحرب في ملاحم التاريخ، مثل قصص الرومان وهم يستخدمون هذا الأسلوب، ليختزل في أنه الامتناع عن دفع الضرائب مثلًا، مما يجعل من الصعوبة على الفرد البسيط أن يكون إطارًا حقيقيًا لحرب اللاعنف فضلًا عن المثقف. لذلك تحتاج حرب اللاعنف إلى رعاية فكرية وحركة ترجمة وتأليف لتتحول تمامًا إلى دراسات أكاديمية مثلها مثل العلوم العسكرية.

وتعد إسهامات أكاديمية التغيير في هذا الصدد محاولة لتكوين صورة متماسكة عن هذا الأسلوب عبر كتابات ممنهجة، وبلورته في شكل يسهل فهمه، عبر الكتب المتخصصة في الفلسفة والاستراتيجيات المتعلقة بهذا الأسلوب.

وأخيرًا.. فإن هذا الكلام سيجد قريبًا صداه بإذن الله، فالتفاح كان يتساقط من الأشجار منذ قرون، حتى انتبه نيوتن واكتشف بسقوط تفاحة قانون الجاذبية، وكانت العبودية مقبولة لعدة قرون كحق وعرف اجتماعي، حتى تغيرت هذه النظرة، ولاشك ستتغير نظرة الحيارى بين خياري الاستسلام والعنف، عندما يدركون روعة هذا الأسلوب وفاعليته.

---

(١) البدائل الحقيقية، جين شارب.

الباب الخامس

الملاحـــــــق

obeikandl.com